الغلو والتطرف في الفرق الإسلامية

مجمل عقائد الشيعة

بقلم أ . د سعيد مراد

الإمامة أصل ثابت من أصول الشيعة على اختلاف فرقها ومذاهبها ، ولا ينتظم أمر الناس بغير إمام معصوم ، فالإمامة (هي الرياسة العامة الإلهية لشخص من الأشخاص خلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الدين والدنيا ، ويجب اتباعه على جميع الأمة) .

وإذا كانت الشيعة قد قالت بإثبات النبوة المطلقة ، والنبوة الخاصة ، إلا أنهم جعلوا الإمامة مقدمة على النبوة والرسالة ، فيقول أحمد بن إبراهيم النيسابوري – أحد كبار دعاة الشيعة الإسماعيلية –: (فإنه لما كانت الإمامة هي قطب الدين وأساسه ، والتي يدور عليها جميع أمور الدين والدنيا وصلاح الآخرة والأولى ، وينتظم بها أمور العباد ، وعمارة البلاد ، وقبول الجزاء في دار المعاد ، وبها يصل إلى معرفة التوحيد ، والرسالة بالحجة والبرهان ، والدلالة إلى معرفة الشريعة وبيانها ، وإنما قلنا : إن الإمامة هي قطب الدين وأساسه ، ولم نقدم الرسالة على الإمامة ؛ لأن في إثبات الإمامة إثبات الرسالة ، والمقر بالإمام مقر بالرسول ، وليس كل من أقر بالرسول أقر بحقيقة الإمام) . اهـ .

وهذا يعني أن العقيدة الصحيحة من وجهة نظرهم الاعتقاد بضرورة تنصيب الإمام المنصوص على إمامته للناس ، ذلك أن الإمام قائم بأمر الرسالة قبل إرسال الرسل وبعد مفارقة الرسل للحياة الأرضية ، فبالإمام يكون حفظ الشريعة واستمرار الدعوة ، يقول الكرماني : (العجب من منكري الإمامة

عقيدتهم في الإمامة والنبوة

من نواصب الأمة ، إذ لم يعلموا أن في إرسال الرسول إلى خلقه وإهماله إياهم بعد خروجه صلى الله عليه وسلم من العالم من غير إقامة إمام عالم بالشريعة هاد إلى الحقيقة عند الفساد ، وتبرج بين العباد ، ومن صحتها أقول : ما ظهر بين ظهراني الأمة من الاختلافات الشنيعة ، والمنازعات العظيمة التي أدت إلى سفك الدماء المحقنة ، واستحلال الفروج المحرمة ، وظهور الغارات وغيرها ، وطلب الانتقامات وما دونها ، وتكفير بعضها بعضًا بالله ، لم تكن لهذا سوى صرف الإمامة عمن جعل الله إليه أمرها ، وأهّله للقيام بحقها ، ولو أهمل الله الإمامة كما زعموا ، ولم يقلدها قائمًا ليكون للملة بقاء ، وللدين ثبات ، كلا ، بل بقي منها قائمًا بترك المنصوبين للإمامة من نسل سيد شباب الجنة - صلوات الله عليه وآله - عنوة وقسوة ، وبالاتفاق إن حفظ الأمة والملة من بالغ الحكمة ، وإذا كان المبدع الحق سبحانه بعث رسولاً حكيمًا ليجمع الخلق بصفاء نفس ، وقوة ، وحس على محكم الشريعة التي هي تجمع الخلقة ، ولا يقيم لها من يحفظها في الأزمنة ، من طعن أهل الزيغ والجهالة ، من الشياطين الفلاسفة ومن دونهم عن ما شطى المغلقة ، وباسطي السبلة ، كان منه هزوًا ولعبًا ، واستكانة وعجزًا ، والمبدع منزه عن إضافة العجز إليه ، وإلحاق اللحى به ، فإذًا يجب إقامة الأئمة في الأزمنة هداية لخلقه ، وحراسة لدينه ، فإذا ثبتت الرسالة بمحمد صلى الله عليه وآله ، والوصاية لابن عمه صلوات الله عليه ، ظهرت دعوة أحدهما للشريعة ، والآخر إلى الحقيقة اللتان هما الأمانة الكبرى ، والوديعة العظمى ، لزم أن يكون مقلدوا الأمانة وقابلوا الوديعة من عقبهما تشريفا وتعظيمًا له صلى الله عليه وآله ، فقد أخبر الله تعالى أُمته على لسانه في كتابه بتخليد الإمامة في عقبه ، مرموزًا تحت قوله عز وجل : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ [الزخرف : ٢٨]) . اهـ .

إن هذه الأقوال إن دلت على شيء فإنما تدل على فساد العقيدة ، وإلباس الحق بالباطل .. فإذا كنا نقر بالإمامة ولا ننكرها ، إلا أننا لا نقبل أن يكون الإمام مقدمًا على الرسول ، وإذا كان

القول بعدم نصب الإمام قد أدى إلى كثير من المفاسد ، فإن الشيعة خاصة الإسماعيلية وما تفرع عنها كالحشاشين والقرامطة أول من شق عصى الطاعة وشهر السيف بالغدر والخيانة والخديعة في وجه أئمة المسلمين وعلمائهم وكل من خالفهم ، وقالوا في دين اللّه وفي شريعته بالباطل أقوالاً أقل ما يمكن أن توصف به أنها أحلت ما حرم اللّه من القول بزواج المتعة ، واستحلال أموال المخالفين وأعراضهم وعقيدة البداء ، إلى غير ذلك من خرافاتهم .

لقد شطوا في الإمامة شططًا بعيدًا ، حيث يقولون : إن محمدًا - صلى اللّه عليه وسلم - قد أخذ أول ما أخذ من أئمة زمانه ، وعرف الحق منهم ، فيقول جعفر بن منصور اليمني : (وقام محمد - صلى اللّه عليه وسلم - بأمره للّه وجمع دعاته الماضين وحججه ، ونصب من نصب منهم بين يديه ، وأنه أخذ أُبَيُّ بن كعب ، وجعله نقيبًا من نقبائه ، وكان يرفعه على حججه ، ويقول لهم : أبيٌّ أقراكم ، يعني أنه كان يقريني بالعلم والحكمة كما أن أحدكم يقرى ضيفه بالطعام والشراب) ، ومفاد هذا الكلام أن الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - كان قبل البعثة من الدعاة والحجج السابقين العلم والحكمة ومن بينهم أُبَيُّ بن كعب ، وذلك بهدف إثبات سبق الإمام على النبي ، وكون الإمام يعلم النبي في كل زمن ، وهذا معتقد فاسد بالضرورة ، وفي ذات السياق وتأكيدًا لهذا المعنى يقول النيسابوري : (فالإمام يقوم مقام الرسول في وقتنا ، وزمانه ؛ لأن الرسول قبل قيامه بوضع الشرية يكون من جملة الأمة ، وبعد فراغه من الشريعة يسلم الأمر إلى الإمام القائم في العالم في كل وقت وزمان ، الذي لا يخلوا العالم منه ، والإمام يحفظ الشريعة وحقائقها .. إذ قد صح وتبين أن مدار الدين على الإمام ، وأن الإمام يعمل في شريعة النبي في دوره ، فلا يصل إلى حقيقة النبي ومنزلته وإلى الشريعة التي لم تتغير ولم تتبدل إلا من جهة الإمام ، ولا يصل إلى حقيقة الشريعة وتأويلها ومعانيها إلا من جهته) .

إن هذه الدرجة وتلك المرتبة العالية للإمام وذلك التصور المثالي الذي لا يتفق مع حقائق الشريعة وقواعد التوحيد ، وذلك أن الإمام على هذا النحو له من الصفات ما يرفعه إلى درجة الألوهية ويجعله مقدمًا على درجة النبوة والرسالة ، لا يجوز لأحد من الخلق تكذيبه أو عصيانه ومخالفته ، يقول الداعي جعفر بن منصور

اليمني في تفسيره القائم على التأويل الباطل لقوله عز وجل: ﴿ أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾ [الماعون : ١] ، إنما ضرب اللّه مثلاً للناس العارفين ، قال الحكيم عليه السلام لصاحب المعدن الحكم وعلم الباطن ، وقوله : ﴿ أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ [الماعون : ٢،١] يعني : الذي يكذب بدين اللّه هو الذي يدفع الإمام عن مقامه ؛ لأن مقام الإمام هو قوام الدين وعبادة المؤمنين ، ولا إمام إلا من اختاره اللّه لدينه والهداية بأمره ؛ لأن معنى : ﴿ يَدُعُّ ﴾ في الظاهر يدفع اليتيم في الظاهر ، كما قال عز وجل : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور : ١٣] .

وإنما سمى الإمام يتيمًا؛ لأنه قد غاب أبوه ، وأبو الإمام الذي أقامه ، ولا يكون الإمام إمامًا ويسمى باسم الإمامة حتى يغيب الإمام الذي أفضى إليه بالإمامة).

والإمام على هذا النحو (لا يكون إلا تامًا ومؤيدًا وفاضلاً ، ولا يجتمع معه فيكون تابعًا له وخادمًا إلا كل فاضل ، ولا ينفرد عن جملته فيكون معاندًا له ومناوئًا إلا كل رذل خبيث عاهر ، ذلك بأن المناسب بما ناسبه به يشابهه ويؤالفه ، والمخالف له بما خالفه فيه يباعده فيخالفه) ، ولقد استحق الإمام ذلك كله باصطفاء اللّه له وتعليمه إياه ، (إن جميع النطقاء .. لم يأخذوا التأييد من صورة بشرية ، ولا اتصلت بهم المواد من الخلقة الجسدانية ، ولا كان لهم أب ولا أم في الحد الروحاني) ، لذلك فهم شموس المعارف وينابيع الحكمة ، ومصدر كل خير ، (ولولا وجود الأئمة لما كان في خلقه البشر حكمة) . اهـ

إنه ضلال مبين ، وأفك افترته هذه الفرقة على اللّه ورسوله ، والناس أجمعين .

إن هذه العقيدة باطلة كل البطلان بنصوص الكتاب والسنة ، والتوحيد الخالص يقتضي تنزيه اللّه عن صفات المخلوقين – سبحانه وتعالى –: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ، ومرتبة الرسالة أعلى المراتب البشرية ، ولا عصمة لأحد من الخلق بعد الأنبياء والرسل ، وكل الناس يؤخذ منهم ويُرد عليهم إلا المعصوم صلوات اللّه وسلامه عليه .

ولنوضح مدى ضلال هذه الفرقة نواصل فضح عقيدتهم حيث سنتناول– بمشيئة اللّه وعونه وتوفيقه– بقية المسائل التي ضلت فيها طوائف الشعية.

وإلى لقاء قادم بإن اللّه .